الناس اى يقصدون بها قد خلت صفة للخبر اى مضت بالموت وانفردت عن عداها واصله صارت
الى الخلاء وهى الارض التى لا انيس بها لها ما كسبت جملة مستأنفة لا محل لها من الاعراب او صفة اخرى
لامة او حال من الضمير فى خلت وما موصولة او موصوفة والعائد اليها محذوف اى لها ما كسبته
من الاعمال الصالحة لا يتخطاها الى غيرها فان تقديم المسند يوجب قصر المسند اليه عليه كما هو
المشهور ولكم ما كسبتم عطف على نظيرتها على الوجه الاول وجملة مبتداة على الوجهين الاخيرين اذ
لا رابط فيهما ولا بد فى الصفة ولا مقارنة فى الزمان ولا بد منها فى الحال اى لكم ما كسبتموه لا ما كسبه
غيركم فان تقديم المسند قد يقصد به قصره على المسند اليه كما قيل فى قوله تعالى لكم دينكم ولى
دين اى ولى دين لا دينكم وحمل الجملة على هذا القصر على ان معنى اولئك لا ينفعهم الا ما كسبوا كما
قيل مما لا يساعده المقام اذ لا يتوهم متوهم انتفاعهم بكسب هؤلاء حتى يحتاج الى بيان امتناعه
وانما الذى يتوهم انتفاع هؤلاء بكسبهم فتبين امتناعه بان اعمالهم الصالحة مخصوصة بهم لا
يتخطاهم الى غيرهم وليس لهؤلاء الا ما كسبوا فلا ينفعهم انتسابهم اليهم وانما ينفعهم اتباعهم
لهم كما قال صلى الله تعالى عليه وسلم يا بنى هاشم لا يأتينى الناس باعمالهم وتأتونى بانسابكم ولا تسألون
عما كانوا يعملون اى اجرى السؤال على ظاهره فالجملة مقررة لمضمون ما مر من الجملتين تقريرا ظاهرا
وان اريد به مسببه اعنى الجزاء فهو تتميم لما سبق جار مجرى النتيجة له وايا ما كان فالمراد تخييب
المخاطبين وقطع اطماعهم الفارغة عن الانتفاع بحسنات الامة الخالية وانما اطلق العمل لاثبات
الحكم بالطريق البرهانى فى ضمن قاعدة كلية هذا وقد جعل السؤال عبارة عن المؤاخذة والموصول
عن السيئات فقيل لا تؤاخذون بسيئاتهم كما لا تثابون بحسناتهم ولا ريب فى انه مما لا يليق
بشان التنزيل كيف لا وهم منزهون من كسب السيئات فمن اين يتصور تحميلها على غيرهم حتى
يتصدى لبيان انتفاعه وقالوا شروع فى بيان فن اخر من فنون كفرهم وهو اضلالهم لغيرهم
اثر بيان ضلالهم فى انفسهم والضمير لاهل الكتابين على طريقة الالتفات الموجب باستهجان حالهم لابعادهم من
مقام المخاطبة والاعراض عنهم وتعديد جناياتهم عند غيرهم اى قالوا للمؤمنين كونوا هودا او نصارى
ليس هذا القول مقولا لكلهم اولا اى طائفة كانت من الطائفتين بل هو موزع عليهما على وجه خاص يقتضيه
حالهما اقتضاء مغنيا عن التصريح به اى قالت اليهود كونوا هودا والنصارى كونوا نصارى فلعل
بالنظم الكريم ما فعل بقوله تعالى وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى اعتمادا على ظهور المرام
تهتدوا جواب للامر اى ان تكونوا كذلك تهتدوا قل خطاب للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم اى قل لهم على سبيل
الرد عليهم وبيان ما هو الرشد لديهم وارشادهم اليه بل ملة ابراهيم اى لا نكون كما تقولون بل
يكون اهل ملته عليه السلام وقيل بل نتبع ملته عليه السلام وقد جوز ان يكون المعنى بل اتبعوا انتم ملته عليه

السلام

السلام او كونوا اهل ملته وقرئ بالرفع اى بل ملتنا او امرنا ملته او نحن ملته اى اهل ملته حنيفا
اى مائلا عن الباطل الى الحق وهو حال من المضاف اليه كما رأيت فى وجه هند قائمة وفى قوله تعالى ونزعنا ما فى
صدورهم من غل اخوانا وما كان من المشركين تعريض بهم وايذان ببطلان دعواهم اتباعه عليه السلام مع اشراكهم
بقولهم عزير ابن الله والمسيح ابن الله قولوا خطاب للمؤمنين بعد خطابه عليه السلام برد مقالتهم الشنعا
على الاجمال وارشادهم الى طريق التوحيد والايمان على ضرب من التفصيل اى قولوا لهم بمقابلة ما قالوا
تحقيقا وارشادا ضمنيا اليه امنا بالله وما انزل الينا يعنى القرآن قدم على سائر الكتب الالهية مع تأخره
عنها نزولا لاختصاصه بنا وكونه سببا للايمان بها وما انزل الى ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب
والاسباط الصحف وان كانت نازلة الى ابراهيم عليه السلام لكن من بعده عليهم حيث كانوا متعبدين
بتفاصيلها داخلين تحت احكامها جعلت منزلة اليهم كما جعل القرآن منزلا الينا والاسباط جمع سبط
وهو الحافد والمراد بهم حفدة يعقوب عليه السلام او ابناؤه الاثنى عشر وذراريهم فانهم حفدة
ابراهيم عليه السلام واسحق وما اوتى موسى وعيسى من التورية والانجيل وسائر المعجزات الباهرة الظاهرة
بايديهما حسبما فصل فى التنزيل الجليل وايراد الايتاء لما اشير اليه من التعميم وتخصيصهما بالذكر
لما ان الكلام مع اليهود والنصارى وما اوتى النبيون اى من جملة المذكورين وغيرهم من ربهم
من الايات البينات والمعجزات الباهرات لا نفرق بين احد منهم كدأب اليهود والنصارى امنوا
ببعض وكفروا ببعض وانما اعتبر عدم التفريق بينهم مع ان الكلام فيما اوتوه لاستلزام عدم التفريق
بينهم بالتصديق والتكذيب لعدم التفريق بين ما اوتوه وهمزة احد اما اصلية فهو اسم موضوع
لمن يصلح ان يخاطب يستوى فيه المفرد والمثنى والمجموع والمذكر والمؤنث ولذلك صح دخول بين
عليه كما فى قولك المال بين الناس ومنه ما فى قوله صلى الله تعالى عليه وسلم ما احلت الغنائم لاحد سوى
الرؤس غيركم حيث وصف بالجمع واما مبدلة من الواو فهو بمعنى واحد وعمومه لوقوعه فى حيز
النفى وصحة دخول بين عليه باعتبار معطوف قد حذف لظهوره اى بين احد منهم وبين
غيره كما فى قول النابغة • فما كان بين الخير لو جاء سالما • ابو حجر الا ليال قلائل • اى بين وبينى
وفيه من الدلالة صريحا على تحقق عدم التفريق بين كل فرد منهم وبين ما عداه كائنا من كان
ما ليس فى ان يقال لا نفرق بينهم والجملة حال من الضمير فى امنا وقوله عز وجل ونحن له مسلمون
اى مخلصون ومذعنون حال اخرى او عطف على امنا فان امنوا الفاء لترتيب ما بعدها على
ما قبلها فان ما تقدم من ايمان المخاطبين على الوجه المحرر مظنة لايمان اهل الكتابين لما انه •
مشتمل على ما هو مقبول عندهم بمثل ما امنتم به اى بما امنتم به على الوجه الذى فصل على ان
المثل مقحم كما فى قوله تعالى وشهد شاهد من بنى اسرائيل على مثله اى عليه ويعضده قراءة ابن

Copyright © King Saud University